وربما جرى ذلك الان . ضروري ان يتوجه الشعب بأجمعه نحو ارض ميعاده ، ونحو اضرام نار الثورة الشعبية في العالم العربي . لا شك ان الفدائيين يرغبون في ارض ثابتة ، ولكن اكثرهم رشاقة ادرك ان علامة العصر ليست التأصل ، والشجرة ، والبيت ، والصخرة ، وانما استعداد دائم لحركة متعاظمة . وقد قال لي فارس بعد خوضه معركة في صفوف فتح ، انه مستعد للنضال من اجل التحرير في اي قطر يستقبله . اما حسن فكان يقوم بعمل منتظم وصارم في اربد ، وكلاهما لم يتجاوز الثانية والعشرين . ولكنني اقول واردد ، ان الجماهير لم تكن تدرك تماما جانب الثورة . المقاومة نعم ــ الثورة لا . ربما كان ذلك من قبيل الحيطة لئلا ينزعج اليمين الفلسطيني !

الثورة في الكلمات

علينا ان نتطرق هنا لمسألة اللغة . فاذا اردنا ان نكون شعبا ملتحما وثابتا ، اي متمتعا بتلك الكثافة التي سبق وتكلمت عنها ، فلا بد من جعل اللغة المتداولة لدى هذا الشعب ــ وهي العربية هنا ــ اكثر جمالا . والكلام عن الجمال لا يعني الزخرفات التي تخفي الفكرة ، بل على العكس ، فان اللغة تزداد جمالا بقدر ما تتوفر مطابقة دقيقة بين الوقائع من جهة والتعبير عن تلك الوقائع من جهة اخرى .

ان اليسارية الطفولية تميل الى ادخال اي شيء ضمن الكلمات والتعابير . واذا كان الجمال لا يساوي البساطة ، فان البساطة هي دون شك عامل جمال . كذلك الامر بالنسبة للدقة في التعبير . فهي لا تعني التشنج بل الليونة . ان الثوريين الطفوليين يستعملون قاموسا لا يغطي اي جزء من الواقع ، وانساءل ان لم يكن استعمالهم لهذا القاموس تعبيرا عن رغبة خفية في افشال الثورة ، هذا اذا كانت الثورة هي **ايضا** تبديل نمط العلاقات بين الافراد . واعني اخيرا بجمال اللغة رفض كل نزعة اكاديمية ، وتقبل كل الاكتشافات التي يقوم بها الشعب تلقائيا وتشجيعها .

ليس حمل السلاح كل شيء في هذا العالم . فالانسان يميل الى الابتعاد عن الحياة ، او بالاحرى عن الجهد في فترة اصبحت فيها الحاجة الى السكون ماسة ، وراج خلالها مبيع تلك العقاقير المسماة مسكنات . لقد الفت السلاح منذ حداثتي ، ثم نسيته : فقد دفعني نوع من الجبن الى « التعقل » . ولكن لقائي في الاردن بفدائيين يعشقون سلاحهم ، وصمموا على استعماله ــ الفدائيين وجميع سكان المخيمات ــ اعادني الى واقع العنف ، وافهمني ان العنف ضرورة . واعني بالعنف الجهد الرامي الى تحقيق قطيعة مع نمط تراجعي يحول دون الحياة : فتفجر البراعم التي تتفتح عنف ، وعنف ايضا نمو حبوب القمح حين تحطم فروعها قشرة الارض . واذا كانت الصحف ــ والبقية الباقية ــ ضد العنف فلأنها تدرك ان العنف هو منبع الحياة ، لذلك فهي تخلط عن قصد بينه وبين الفظاظة . ولكن هذه الاخيرة تتناقض في الواقع مع العنف ، بمعنى انها نابعة عن عمل ، او مجموعة اعمال مقتصرة على ذاتها . بينما العنف هو البحث ــ سهلا كان ام لا ــ الذي يقوم به جيل جديد .

لكن البرجوازية تدرك ان بمقدورها خلط مضامين الكلمات والتعابير ، فتستنكر اعمال العنف مهما كان مصدرها ، على الرغم من معرفتها كل المعرفة ان بين تلك الاعمال ما هو شراسة غير مجدية وما هو من الطرف الاخر عنف ضروري .

عندما سألت احد الفدائيين ، سنة ١٩٧٠ : « ما هو بالتحديد هدف المعارك التي تخوضها ؟ »